

نَسِيَّاً مُلْتَسِرًا لِلْجَنَّةِ

١٤١١م

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
حَفْصَةُ بْنُتُّ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

* تزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي
خير من حفصة،

حديث شريف

* نزل جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله ﷺ وقال له عن
حصة: تجد عدداً من القصص والسير

إِنَّهَا صَوَامِعُ قُلُوبٍ مُفْرِقُهُ الْوَقْفُ كُلُّ الْكَوْفَةِ،

www.dawahmemo.com

أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها

السيدة الكريمة :

* السُّرُور الرَّفِيع حفصة أم المؤمنين بنت أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ضيفة هذه الصفحات.

* كانت قريش تجدد بناء الكعبة قبل مبعث النبي الكريم بخمس سنين، وكانت هذه فاتحة خير لقريش إذ توحدت كلمتها بفضل رأي سيدنا رسول الله ﷺ؛ حينما حسم الخلاف بين المتنازعين على وضع الحجر الأسود مكانه.

* في تلك الأيام السعيدة، ولدت أم المؤمنين حفصة بمكة، وقد جمع لها الفضل من جميع نواحيه، وصاحبتها البركة منذ البداية.

* فأبوها غني عن التعريف، يكفيه من الفضل الكبير أنه الوزير الثاني للنبي ﷺ، وأنه سراح أهل الجنة، ويكتفي من الطيب الفياض ما قالته عائشة ابنة الصديق فيه: إذا شتمت أن

* وأمها زينت بنت مطعمون بن حبيب، أخت الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن مطعمون، أحد سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقيين، الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فصلٍ عليهم، وهو أول من دُفِن بالبقاء.

* وأخوها عبد الله بن عمر، شهد له رسول الله ﷺ بالثقة والصلاح فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلني من الليل». فكان يَعْدُ لا ينام من الليل إلا القليل، وهذه الشهادة رفعته إلى مصاف الأنبياء.

* وعمها زيد بن الخطاب، السيد الشهيد المجاهد الثقي قال عنه سيدنا عمر: أسلم قبلي واستشهد قبلي. وقال أيضاً: ما هبّ الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد.

* وعمتها فاطمة بنت الخطاب إحدى السابقات إلى ساحة الإيمان، مع زوجها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

* * *

الشّاة الطّيبة:

* في هذه المجموعة الفريدة نشأت حفصة - رضي الله

عنها وأرضها - ولما أشرقت مكة بنور الإسلام، انضم والدها إلى ركب السابقين الأولين، وفاز بنور الإيمان وتبشرت الملائكة بإسلامه الذي كان بركة على الإسلام والمسلمين منذ اللحظات الأولى التي نطق فيها بالشهادتين.

* نسأت حفصة - رضي الله عنها - على حب المعرفة، ونهلت من عيون الأدب والعلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى غدت إحدى فصيحات النساء في قريش، وتعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية.

ولما بلغت أشدتها واكتملت أنوثتها تزوجها خنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي - أخو سيدنا عبد الله بن حذافة -، وكان خنيس - بالتصغير - رضي الله عنه أحد السابقين الأولين إلى ساحة الإيمان، إذ أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقام ^(١)، وذلك على يدي سيدنا أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - .

* * *

المُهَاجِرَةُ الصَّابِرَةُ:

* لما اشتد أذى قريش للمؤمنين، كان خنيس من توجه تلقاء العقبة فهاجر إليها مع من هاجر، ثم عاد إلى مكة

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣٩٢/٣).

عبد المثلد، واحى رسول الله عليه عليه بين أبي عبيس بن جبر، فخنيس رضي الله عنه من أصحاب الهجرتين.

* وحينما كانت غزوة بدر^(١) العظمى شهدَها خنيس، ولم يشهد من بني سهم بدرًا غيره، فكان من أبطالها المجاهدين الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلية وأصيب بالجراح في موضع من جسده، لكنه ظل يجالد إلى أن انتهت المعركة بنصر المسلمين، ولما عاد المسلمون إلى المدينة المنورة مات خنيس - رضي الله عنه - متأثرًا بجراحه، وصلَّى عليه رسول الله عليه ودفنه بالبقع إلى جانب قبر عثمان بن مظعون - رضي الله عنه وأرضاه -.

* وترملت حفصة بنت عمر وهي ما تزال في ريعان شبابها، وحزنت لوفاة زوجها حزنًا شديداً ظهرت آثاره على قسمات وجهها، لكنها تدرعت بالصبر والإيمان، وكان أبوها يزورها ويخففُ من آلامها وأحزانها، ويرعاها بحنانه ويحوطها بعطفه، وكانه ياحساسه وفراسته وعيقريته يرى أن لابنته هذه شأنًا، وكان ذلك، والله در من قال فيه:

(١) من الأخبار السارة المباركة التي تضاف إلى مكارم أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ، أن سبعة من أهلها شهدوا بدرًا، وأبلوا بلاءً حسناً وهم: أبوها عمر، وعمها زيد، وزوجها خنيس، وأخواليها عثمان وعبد الله وقدامة، والسائل بن عثمان ابن خالها.

متيقظ العزمات مُذْ نهضت به
عزماته نحو العلی لَم يَقْعُدِ
ويكاد من نور البصيرة أَن يرى
في يومه فعل العواقب في غدِ

* * *

مع أهل الخير:

* كانت حفصة - رضي الله عنها - من فاضلات النساء العابدات الورعات، الصابرات القانتات الالاتي ضربن أعلى الأمثلة في مجال العبادة، وكان أبوها يُسرّ لهذه الصفات الخيرة التي تحلّى بها، غير أنه كان يؤلمه حال ابنته القانتة التي ترملت وهي في ميعه الصبا.

* ونظر من حوله نظرة فاحصة، فإذا به يرى الظروف مواطية لسعادة حفصة، فيها هو أحد أهل الخير، وأحد الأعلام السابقين إلى الإسلام - عثمان - أضحم وحيداً بعد وفاة زوجه رقية بنت النبي ﷺ، فانطلق عمر - رضي الله عنه - إلى عثمان مواسياً ومحففاً من مصابه، وعرض عليه ابنته حفصة قائلاً: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال عثمان - رضي الله عنه - : سأنظر في أمري .

* مكث عمر بضعة أيام ثم لقي عثمان، فأخبره أنه لن

الله عليه - ف قال له : إل سنت روجتك حفصه ، ولكن الصديق
 لزم الصمت ولم ينطق بكلمة واحدة ، وترك عمر ومضي في
 طريقه ، فثار الفاروق من هذين الموقفين ، وشعر بانكسار
 نفسه ، فذهب إلى رسول الله ﷺ يشكو حاله ، وأدرك رسول
 الله ﷺ ما يعانيه عمر ، فأجابه بجواب شافٍ كان برأه وسلمًا
 عليه فقال له : « يتزوج حفصة منْ هو خير منْ عثمان ،
 ويتزوج عثمان منْ هي خير منْ حفصة » .

* تُرى منْ خير منْ عثمان ومنْ خير منْ حفصة؟ .

سؤالٌ يعتملان في ذهن عمر، بيّنَ أنَّ تَساؤله لم يُطلِّ ،
 فخطب رسول الله ﷺ حفصة ، وأصبحت إحدى أمهات
 المؤمنين ، وزوج رسول الله ابنته أم كلثوم من عثمان - رضي
 الله عنه -^(١) . وسعد عمر - رضي الله عنه - بهذا النسب
 الذي رفعه مكاناً علىًّا . قال سعيد بن المسيب - رحمة الله -
 عن هذا الزواج : فخار الله لهما جميعاً ، كان رسول الله ﷺ
 لحفصة خيراً منْ عثمان ، وكانت بنت رسول الله ﷺ لعثمان
 خيراً منْ حفصة^(٢) .

(١) عن طبقات ابن سعد (٨٢/٨)، والاستيعاب (٤/٢٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٨) بتصريف.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٨٣/٨).

* وعندما زوجَ سيدنا عمر حفصة - رضوان الله عليهما -،
لقيه سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فاعتذر اعتذاراً
لطيفاً وقال له:

... لعلكَ وجدتَ علّيَ - غضبَتْ - حين عرضتَ
عليَّ حفصة فلمْ أرجعْ إليكَ شيئاً؟
قال عمر: نعم.

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أنْ أرجعَ إليكَ فيما عرضتَ
عليَّ، إلا أنِّي كنتُ علمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد ذكرها، فلمْ
أكنْ لأفشي سرَّ رسولَ الله ﷺ، ولو تركها رسولَ الله ﷺ
قبلتها»^(١).

* وتزوجَ رسولُ الله ﷺ حفصة سنة ثلاط من الهجرة قبل
غزوة أحد، وأصدقها أربعين درهم، وكان ذلك أعظم إكرام
ومنة وإحسان لحفصة وأبيها - رضي الله عنها -.

* وأودُّ أنْ أشيرَ إلى أنَّ تصرفَ سيدنا عمر في عرضِ ابنته
على الأكفاءِ منْ أهلِ الخير، كان مفتاحَ خيرٍ في هذا
المضمار، وباب بركة وستة طيبة أيضاً، فمن برkat هذا
الزواج أنَّ الإمام البخاري - رحمة الله - قد عقدَ في صحيحه
فضلاً عنوانه: باب عرضِ الإنسان ابنته أو أخته على أهلِ

(١) الحديث في صحيح البخاري (٧/١٨).

* * *

حـفـصـةُ وـأـمـهـاتُ الـمـؤـمـنـينَ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـنـ - :

* كانت حـفـصـةُ أـمـ الـمـؤـمـنـينَ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهاـ - تحـظـيـ بـمـكـانـةـ رـائـعـةـ بـيـنـ زـوـجـاتـ النـبـيـ الطـاهـراتـ، قـالـتـ عـنـهـنـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ عـائـشـةـ: هيـ التـيـ كـانـتـ تـسـامـيـنـيـ مـنـ أـزـوـاجـ النـبـيـ صـلـاحـةـ ^(٢).

* كماـ حـظـيـتـ أـمـنـاـ حـفـصـةـ بـمـكـانـةـ لـاقـةـ عـنـدـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـاحـةـ، فـهـيـ إـحـدـيـ زـوـجـاتـ الـخـمـسـ مـنـ قـرـيـشـ وـهـنـ: عـائـشـةـ، حـفـصـةـ، أـمـ حـبـيـةـ، أـمـ سـلـمـةـ، وـسـوـدـةـ بـنـتـ زـمـعـةـ ^(٣) - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـنـ جـمـيـعـاـ - .

* ثـمـ إـنـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ حـفـصـةـ مـنـ خـيـارـ النـسـاءـ الصـالـحـاتـ الـلـاتـيـ يـؤـدـيـنـ الـعـبـادـاتـ عـلـىـ أـحـسـنـ وـجـهـ، وـقـدـ عـرـفـتـ رـضـوـانـ اللـهـ عـلـيـهـاـ بـكـثـرـةـ الصـيـامـ وـالـقـيـامـ، وـهـاتـانـ الصـفـتـانـ مـنـ أـنـصـعـ وـأـعـلـىـ مـنـازـلـ الـعـبـادـةـ، وـقـدـ حـضـرـ النـبـيـ الـكـرـيمـ صـلـاحـةـ مـنـ أـرـادـ أـنـ

(١) انـظـرـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ (١٧/٧) كـتـابـ النـكـاحـ.

(٢) انـظـرـ سـيرـ أـعـلـامـ الـبـلـاءـ (٢٢٧/٢).

(٣) انـظـرـ تـارـيـخـ الـإـسـلـامـ لـلـذـهـبـيـ (٥٩٣/١).

يتزوج أنْ يبحث عن تلك الصِّفات فقال: «فاظفُرْ بذاتِ
الَّذِينَ تربَت يدًاك».

* ولهذا فقد كانت أمُ المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -
مِمَّنْ شهد القاصي والدَّاني بفضلها في العبادة والصلاح.
أمَّا في مجال الحياة الزَّوجية فكانت تحرصُ على مرضاه
رسول الله ﷺ، وتسابق عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -
في هذا المجال، فقد روت أمُّنا عائشة - رضي الله عنها -
قالت:

كان رسول الله ﷺ مع أصحابه، فصنعت له طعاماً
وصنعت له حفصة - رضي الله عنها - طعاماً، فسبقتني حفصة
فقلت للجارية: انطلقي فاكثئي^(١) قصعتها فأهوت أنْ تضعها
بين يدي النبي ﷺ فكتفاتها، فانكشفت القصعة فانتشر الطعامُ
فجمعها النبي ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثمْ
بعث بقصعي فدفعها النبي ﷺ إلى حفصة؛ فقال: «خذداوْ
ظرفاً مكان ظرفكم وكلوا ما فيها»^(٢).

* * *

لا تُخْبِري بذلك أحداً:

* عاشَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ فِي بَيْتِهِ مَعَ أَزْوَاجِهِ بَشَّاراً رَسُولاً،

(١) «اكثئي»: اقلبي قصعتها ليصب ما فيها.

(٢) انظر حياة الصحابة (٢/٥٣٦).

غير أن حياة أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن لم تخل من بعض المشاعر البشرية التي تعترفها الغيرة أو التنافس أو ما شابه ذلك، ولذا فقد كان النبي الحبيب ﷺ يعالج أموره بالتربيـة الإلهـية في بيته مع زوجاته ومع أصحابه وأمهـه، ويأخذ بـيد الجميع إلى جـادة الصـواب.

* ويبدو أنَّ أمَّا حفصةَ - رضيَ اللهُ عنها - قد أخذتِ الغيرةَ بقلبها، وذلكَ لما رأىتِ النَّبِيَّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤثِّرُ زينبَ بنتَ جحشَ أمَّ المؤمنين بالجلوسِ عندهَا وقتاً طويلاً، أو يخلو بماريةَ أمَّ ولده إبراهيمَ، مما جعلها تتعاونُ مع أمَّ المؤمنين عائشةَ لِإقصاءِ هاتينِ المرأةَتَينِ عن قلبِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أنزلَ آياتٍ مباركاتٍ فيها التَّعلِيمُ لهما ولأزواجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها تأييدٌ لرسولِهِ الْكَرِيمِ، وكان درساً يليغاً حكيمًا أبعَدَ الغيرةَ عن قلوبِ أمَّهاتِ المؤمنين.

* فقد أخرج الإمام البخاري رحمة الله بسنده عن أمّنا عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت:

كان رسول الله يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، ويمكثُ عندها فتوطأْتُ أنا وحفصة على أيةٍ دخل عليها

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

فلتقل له: أكلت مغافير^(١)، إني أجده منك ريح مغافير. قال:
«لا ولكنني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن
أعود له، وقد حلفت لا تخبرني بذلك أحداً»^(٢).

* ولم تستطع حفصة - رضي الله عنها - كتمان الخبر ولم
تعمل بما أوصاها به رسول الله ﷺ، وأخبرت - صفيتها -
عائشة بالأمر ظناً منها أن لا حرج في ذلك.

* وأخرج ابن جرير وابن المنذر - رحمهما الله - عن سيدنا
عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال:

قلت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : من المرأتان
اللتان تظاهرتا؟ .

قال: عائشة وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن مارية أم
إبراهيم القبطية، أصابها النبي ﷺ في بيته حفصة في يومها،
فوجدت حفصة فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلى شيئاً ما
جئت إلى أحدٍ من أزواجك في يومي وفي داري وعلى
فراشي، فقال: «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها»؟ .

قالت: بلّى، فحرّمها وقال: «لا تذكرني ذلك لأحد»

(١) «المغافير»: صمغ حلول الطعام كريه الوائحة.

(٢) انظر صحيح البخاري (١٩٤/٦) تفسير سورة التحرير، وانظر
تفسير القرطبي (١٧٧/١٨)، والدر المثور (٢١٣/٨).

ولما علمَ رسول الله ﷺ بما أُفْسِدَهُ من سر غضبٍ، واعتزل
نساءه شهراً.

* * *

أَتَرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ :

* لم يكن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -
يتصور أن تراجع امرأة زوجها في أمرٍ من الأمور مهما كان،
فكيف بحصة ابنته تراجع رسول الله ﷺ وتهجره إلى
الليل؟!! .

هذا ما حصل فعلاً، وزاد من استغرابه أن حصة أقرتْ
بذلك في بساطة.

روى هذا سيدنا عبد الله بن عباس عن عمر - رضي الله
عنهم - قال:

كُنَّا مُعْشِرَ قُرَيْشَ نَغْلُبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا
قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفَقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمُنَّ مِنْ نِسَائِهِمْ،
فَغَضِبْتُ عَلَى امْرَأَيَّ يَوْمًا، إِذَا هِيَ تَرَاجِعِنِي فَانْكَرْتُ أَنْ
تَرَاجِعِنِي، فَقَالَتْ: مَا تَنْكِرُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ
ﷺ لِيَرَاجِعُنَّهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيلِ! .

(١) الدر المثور (٢١٤/٨).

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين
رسول الله ﷺ؟

قالت: نعم.

قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟

قالت: نعم.

قلت: قد خاب منْ فعل ذلك منكن وخسر، أفتؤمن
إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد
هلكت؟ لا تراجعني رسول الله ﷺ، وتسأليه شيئاً وسليني ما
بدالك، ولا يغرنك إن كانت جارتك أوسم - أجمل - وأحب
إلى رسول الله ﷺ منك، يريده عائشة - رضي الله عنها -.
وهكذا كان سيدنا عمر نعم الأب الناصح لابنته.

* * *

لولا أنا لطلّكِ:

* كان عمر - رضي الله عنه - جارٌ من الأنصار، فجاء
وأنبأه أن رسول الله ﷺ اعتزل نساءه، فقال عمر: قد خابت
حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائناً، ثم قال: رغم أنف
حفصة وعائشة، وذهب إلى عائشة رضي الله عنها - وذلك قبل
أن يُضرب الحجاب - فذكرها وحذرها، ثم انطلق إلى ابنته
حفصة فويَخها وعنفها وقال لها: والله لقد علمت أن رسول

سديداً، لم فصد إلی رسول الله ﷺ وهو معتزل في مشربته
- غرفة - يُصعدُ إليها بدرج، وعلى الباب غلامٌ يُدعى رباح
فقال: يا رباح استاذن لي على رسول الله ﷺ، وألح عمر
بالإذن مراراً، ولم يأتِ رباح بجواب، فرفع عمر صوته وقال:
استاذن لي على رسول الله، فإني أظنُ أنَّ رسول الله ﷺ ظنَّ
أني جئتُ من أجلِ حفصة، والله لئن أمرني رسول الله
بضرب عنقها لأضربن عنقها. فأشار إليه رباح وقال: ادخل
فقد أذن لك.

ودخل عمر على رسول الله ﷺ، وما زال يلاطفه حتى
تبسم، ثم سأله: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ . فقال ﷺ:
«لا».

فقال عمر: الله أكبر. ثم ذكر له الحديث الذي دار بينه
 وبين حفصة فتبسم ثانيةً ﷺ، ولما رأى عمر - رضي الله عنه -
سرورَ النبيِ الكريم ﷺ طلب الإذن بالجلوس وقال: أستأنسُ
يا رسول الله؟ .

قال: «نعم».

وجلس عمر، وجال يبصره في المشربة، فألقى رسول
الله ﷺ على حصير، وتحت رأسه وسادة منْ أدم حشوها
ليف، وعنه جلدٌ معلقة عند رأسه، وقد أثر الحصير في جنبه
فبكى.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يكفيك؟».

فقال: يا رسول الله، إِنَّ كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله!.

فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»^(١).

وفي رواية أخرى أَنَّه ﷺ قال: «أَوْ فِي شَيْءٍ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخُطَابِ؟ أَوْ لِئَلَّكَ قَوْمٌ قَدْ عَجَلْتُ لَهُمْ طَيَّاْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٢).

* وكان النبي ﷺ قد أقسم ألا يدخل على نسائه شهرًا فعاتبه الله في ذلك، وأنزل مخوفاً ومحذراً نساءه قوله تبارك وتعالى: «يا أيها النبي! لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم» * قد فرض الله لكم تحلاة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأها به قالت من أنت يا هذا قال نبأني العليم الخبير * إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكم وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولا وجريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى رب إِنْ طلقكن أَنْ يبدلهم أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائعات ثبات وأبكاراً» [التحرير: ١ - ٥].

(١) رواه البخاري (٦/١٩٦)، وانظر تفسير القرطبي (١٨/١٩١).

(٢) انظر الدر المثور (٨/٢٢١)، وحياة الصحابة (٢/٦٨٣).

* وعادت حيَاة الصَّفَاءِ والاسْتِقْرَارِ إِلَى حَفْصَةَ وَزَوْجَاتِ النَّبِيِّ - رضي الله عنهم -، وظلتْ حَفْصَةُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ تَفْعُلْ مَا يَغْضُبُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، إِلَى أَنْ انتَقَلَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى راضِيًّا عَنْهَا وَعَنْ زَوْجَاتِهِ الطَّاهِراتِ - عَلَيْهِنَ رَحْمَةُ اللَّهِ - .

* * *

رَحْمَةُ لِعْمَرٍ :

* رأينا كيف كان موقفُ سَيِّدِنَا عَمْرٍ مِنْ ابنتهِ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - ، ففي موقفهِ الطَّيِّبِ ذاك ارتقى مَنْزَلَةً عَالِيَّةً فِي الطَّاعَةِ وَمَحْبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنَالَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ أورَدَتِ الْمُصَادِرُ قَصَّةً تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَتْ :

طَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرٌ، فَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ التَّرَابَ وَقَالَ: مَا يَعْلَمُ اللَّهُ بِعُمْرِ وَابْنَتِهِ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ مِنَ

(١) انظر تفسير الآيات من سورة التحرير في تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي والدر المثور، وتفسير القاسمي، وانظر كذلك صحيح البخاري ومسلم في كتاب التفسير.

الغد وقال للنبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرَاجِعَ حَفْصَةَ رَحْمَةَ
لِعَمْرٍ^(١) - رضي الله عنها -. *

حَفْصَةُ وَعُمَرُ - رضي الله عنهمَا -

* بعد وفاة رسول الله ﷺ، لزّمت أم المؤمنين حفصة
- رضي الله عنها - بيتها، وأضحت إحدى مراجع العلم
والفقه، وكانت مكان إكثار وإجلال في عهد الخليفة الصديق
- رضي الله عنه -. *

* ولما تولى سيدنا عمر الخلافة ظلت أمّا حفصة متمسكة
بما عاهدت الله عليه، ولم تفك يوماً بأنّها ابنة أمير المؤمنين .
وكان سيدنا عمر وحفصة - عليهما سحائب الرضوان
- مواقف عظيمة تدل على زدهما، وعلى إعراضهما عن
الدنيا إعراضًا كاملاً، كما تشير إلى صفاء نفس كل واحد
منهما، وتعلقها بمرضاة الله سبحانه وتعالى واتباع هدي النبي
الحبيب ﷺ، من ذلك ما ذكر أنه دخل على حفصة - رضي
الله عنها - فقدمت إليه مرقأً بارداً وخبزاً، وصبت في المرق
زيتاً فقال: أدمان في إناء واحد، لا أذوقه حتى ألقى الله^(٢).

(١) انظر مثلاً: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٢)، والاستيعاب (٤/٢٦١)،
والإصابة (٤/٢٦٥) وأسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٤٥).

(٢) انظر حياة الصحابة (٢/٢٨٢).

- رضي الله عنها - لا نعرف حميمه الرهد، بل فعدت ذلك
لتكرم والدها - رضي الله عنهم وأرضاهما - .

* وكانت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ترى
والدها وما هو عليه من شدة العيش، فقالت له يوماً: يا أمير
المؤمنين لو لبست ثوباً ألين من ثوبك هذا، وأكلت طعاماً
ألين من طعامك، فإن الله سبحانه قد وسع عليك من الرزق
وأكثر من الخير.

قال عمر - رضي الله عنه - : سأخاصمك إلى نفسك، أما
تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش؟ وما زال
يدركها حتى أبكاهما، ثم قال: إني والله لئن استطعتُ
لأشاركَنَّهما في عيشهما الشديد لعلَّي ألقى معهما عيشهما
الرَّخي (١)، يعني رسول الله وأبا بكر.

* * *

علمها وفهمها:

* عرفت أمّنا حفصة - رضي الله عنها - بالعلم والفقه
والثّقوى، وهذه الصّفات أحلتها محلَّاً كريماً لدى رسول
الكريم ﷺ، وظلت تحتفظ بالمكانة نفسها في عهد الخليفة

(١) عن طبقات ابن سعد (٣/٢٧٧) بتصرف يسير جداً.

الرَّاشِدَةُ وَخُصُوصًا فِي خِلْفَةِ الْدَّهَاءِ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يُرْكَنُ إِلَى
آرائِهَا وأحْكَامِهَا الْفَقِيهِيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ سُؤَالٌ إِلَيْهَا: كمْ أَكْثَرُ مَا
تَصْبِرُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا؟ فَقَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : سَتَةُ أَوْ
أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ^(۱).

* وكانت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - مرجعاً
لـكثير من الصحابة في مجال الحديث النبوى الشريف
والعبادة، وقد كان أخوها عبد الله بن عمر المؤتسي برسول
الله ﷺ يتلقى عنها ما رأته في بيت رسول الله ﷺ، أضف
إلى ذلك أن سيدنا أبي بكر الصديق قد اختار أم المؤمنين
حفصة من بين زوجات النبي ﷺ لتكون حافظة القرآن الذي
جمعه، ولعل اختيار سيدنا أبي بكر لها لتلك الصفات التي
اجتمعت فيها من التقوى والعلم والصوم؛ ناهيك أنها كانت
تقن القراءة في عهدها، فقد كان قليلاً من الرجال مَنْ يُعرف
القراءة والكتابة فكيف بالنساء؟ لذا فقد كانت أم المؤمنين
حفصة التلميذة النبوية النجيبة التي نقلت كثيراً من الأحكام
النبيوية إلى الناس.

* * *

حارسة القرآن:

* لأمنا حفصة - رضي الله عنها - أمانة في عنق كل مسلم

(۱) انظر حياة الصحابة (٤٧٦/١)، والدر المتنور (٦٥٢/١).

بحفظه لي بيهما، لما سألا نسبي فصل أبيها عمر الذي أشار على أبي بكر الصديق بجمعه عندما كثُر استشهاد القراء وحفظة القرآن في حروب الردة، ووافق الصديق - رضي الله عنه - ، وأوعز إلى زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب النبي ﷺ وقال له: إنكَ رجل شابٌ عاقلٌ لا تنهُمْكَ، وقد كنت تكتب الولي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه^(١).

* وشرح الله سبحانه صدر زيد فقام بهذا العمل الجبار قال زيد - رضي الله عنه - : لما أمرني أبو بكر فجمعت القرآن كتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب، فلما هلك أبو بكر رضي الله عنه كان عمر، كتب ذلك في صحيحة واحدة فكانت عنده^(٢).

ثم إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عهد بهذه الأمانة العظيمة إلى أم المؤمنين حفصة لتصونها وتحفظها، وظلت عندها إلى أنْ شرع سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في كتابة المصحف؛ وذلك لاختلاف وجود القراءات بين أهل العراق والشام، وقدم سيدنا حذيفة بن اليمان لما رأى الاختلاف بذلك، وأفضى إلى سيدنا عثمان بخبر

(١) انظر دلائل النبوة للبهقى (١٤٩/٧).

(٢) الحلية (٥١/٢)، والإتقان للسيوطى (١٨٦/١)، طبعة دار ابن كثير.

الخلاف، فسارع إلى كتابة المصحف، وبعث إلى أمّنا حفصة أنْ أرسل بالصحف التي جُمِعَ فيها القرآن نسخها في المصاحف ثم نردها عليك، فأرسلت بها إلى عثمان، ودعا زيد بن ثابت، وعزّزه بثلاثةٍ من فصحاء قريش وهم: عبد الله ابنُ الزبير، وسعيدُ بنُ العاص، وعبدُ الرحمن بنُ الحارث بن هشام، وأمرهم أنْ ينسخوها في المصاحف.

ولما كُبِّتَ المصاحف بعث إلى كل أُفقي بمصحف، ثم ردَ الصحيفة إلى حارسة القرآن أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -، فكان لها السبق والثاء في هذا العمل المبارك، وبقي المصحف محفوظاً ما بقي الدهر، حتى يأتي أمرُ الله لا تجري عليه زيادة ولا نقصان؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

* أما عن مصحف أمّنا حفصة - رضي الله عنها -، فكانت أوصت به إلى أخيها عبد الله بن عمر العالم التقي، الصافي التقي، فلما ماتت حفصة أرسل عبد الله بالصحيفة بعزمٍ^(١) فأعطاهما إياها فغسلت غسلاً^(٢).

* * *

(١) «العزم»: بالضم: أسرة الرجل وقبيلته. انظر: مادة عزم في القاموس المحيط والممعجم الوسيط.

(٢) الحلية (٥١/٢).

* أضافت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - إلى تعلّمها لكتاب الله تعالى وحفظه روايتها لحديث رسول الله ﷺ ووعيها له، وكان الناس من الصحابة والتلّابعين يحرصون على سمع ما عندها من حديث النبي الكريم ﷺ، روت عن رسول الله ﷺ ستين حديثاً، اتفق لها الشیخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث^(١).

* ومن روى عنها فأطاب وأجاد أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت أبي عبيد، وأم مبشر الأنصارية، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وآخرون^(٢).

* ومن مروياتها ما رواه عبد الله بن عمر عن أخيه حفصة أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا سكت المؤذنُ من الآذان لصلاة الصُّبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة^(٣).

* * *

الصَّوَامِعُ الْقَوَامَةُ:

* ذكر ابن حجر - رحمة الله - صوم أمّنا حفصة - رضي الله

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٣٠)، والمجتبى لابن الجوزي ص (٩٣).

(٢) تهذيب التهذيب (١٢/٤١٠).

(٣) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٤٥).

عنها - فقال: ماتت حفصةُ حتىٌ ما تفطر^(١).

* وافتتح أبو نعيم الأصبهاني ترجمتها بقوله: الصوامةُ
القوامةُ، المزريةُ بنفسها اللوامة، حفصة بنت عمر بن
الخطاب، وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب - رضي الله تعالى
عنها -^(٢).

* «الصومامةُ القوامةُ» هذا اللقب المبارك فازت به أمُ المؤمنين حفصة من السماء، والصيام والقيام والقنوت من
أعلى مراتب العبادة التي يحافظ عليها الإنسان في هذه
الحياة، فالعبادة تبني النفس وتصلح القلب وتجعل المرء على
صلة دائمة بالله عز وجل، فهنئاً لمن تحلى بهذه الصفات،
وهذا ما انصرف إليه أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -
لتنال الدرجة العالية عند الله وتفوز الفوز العظيم.

* كانت أمّنا حفصة - رضي الله عنها - قد تعلّمت من
رسول الله ﷺ الخير كلّه خلال حياته، ونشأت في مدرسته
حتى أصبحت عابدةً عالمةً، تقيةً ورعةً، زاهدةً مؤتسيّةً به
ﷺ، ولذلك نزلت شهادةً صلاحها وتقاها مختومه برحيق
الإيمان من جبريل عليه السلام عندما قال: إنّها صوامة
قوامة^(٣).

(١) الإصابة (٤/٢٦٥).

(٢) الحليلة (٢/٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٨).

عليها - هي دعائهما وهي فضيلتها لطبيعتهم علمي لما دامت
عليه حياة النبي الكريم ﷺ، وزاد من فضل حفصة معرفتها
القراءة والكتابة مما جعلها حافظة القرآن وحارسته.

وقد عرف الصحابة الكرام والتلابعون الأخيار فضائلها في
هذا المضمار، وشهدوا بها للبشرية والتاريخ وكل من يود
معرفة الحق أينما كان. ويكتفيها من الفضل ما قاله أمّا
عائشة فيها: إنّها ابنة أبيها. وفي هذا القول تنبية على فضائلها
ومكانتها رضي الله عنها وعن أبيها.

* * *

الأديبة الفصيحة:

* أثر عن حفصة - رضي الله عنها - تعاهدها القرآن، فقد
جعلته شغلها الشاغل آناء الليل وأطراف النهار، ثم رفدتْه
بأدب النّبوة، ومن هذين المنبعين المباركين استقتْ أدبها
وفصاحتها وعلّمها، فقد كانت ذات بлагة تشير إلى تمكّنها
من ناصية الكلام، اسمع من جميل كلامها ما قالته عندما
طعنَ سيدنا عمر بحجر العذر والكيد والخيانة:

يا أبته ما يحزنك وفادتك على ربِّ رحيمٍ ولا تَبْغِي لأحدٍ
عندك، ومعي لك بشارة لا أذيع السُّرُّ مرتين، ونعم الشفيع
لك العدل، لم تخف على الله عزّ وجلّ خشنة عيشتك

وعفافٌ نهمتِكَ، وأخذُكَ بأكظامِ المشركين والمفسدين^(١).

* * *

الوداعُ الآخرِيُّ:

* في سنة خمس وأربعين من الهجرة النبوية، شعرت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - بقرب اللقاء مع الله عزوجل ومع الأحبة، ولم تمض بضعة أيام من شهر شعبان من تلك السنة حتى لحقت بالرفيق الأعلى^(٢).

وطار الخبر في أرجاء المدينة أن توفيت حارسة القرآن زوج النبي ﷺ، وأقبل الصحابة الكرام لتشييع جنازتها وفي مقدمتهم سيدنا أبو هريرة وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهمما -، وصلى عليهما والي المدينة آنذاك مروان بن الحكم، ودفنت في البقيع ونزل في قبرها أخوها عبد الله وعاصم، وسالم وعبد الله وحمزة بنو أخيها عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم جميعاً.

وكان عمرها عندما توفيت ثلاثة وستين سنة - رضي الله عنها -، وكانت قد أوصت إلى أخيها عبد الله بماله وصدقة.

(١) انظر بقية هذه القطعة الأدبية في أعلام النساء (١/٢٧٥) وما بعدها.

(٢) صفة الصفة (٢/٤٠)، والطبقات (٨/٨٦).

أوصى بعدها إلى بصدقه وهاي،
وأوصت حفصة لأخيها بما أوصى به إليها عمر - رضي الله
عنهم جميعاً^(١).

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارٌ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنْعَمْ دَارُ الْمُتَقِّنِ * جَنَّاتٍ عَدِينَ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَقِّنِ * الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل : ٣٠ - ٣٢].

* أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - من سبّقت لها
الحسنى ، وهي واحدةٌ من النساء اللاتي عرفن معاني العبادة
الحقيقة ، فكانت موصولة القلب بالله دائماً ، كثيرة الذكر له
سبحانه وتعالى ، فاستقرتُ أسباب الرضا في نفسها ، وعزفت
عن حطام الدنيا لعلّمها بأن السعادة في الدارين إنما هي
لأهل الإيمان ، وخاصة أهل الطاعة والاستقامة ؛ فاتّه معهم
في هذه الحياة يحييهم حياة طيبة مباركة تفوح منها نسمات

(١) الاستيعاب (٤/٢٦١).

الخشوع والرغبة والرّهبة، وفي الآخرة يقابلُهم بالحفاوة والغفران والإنعم في دار النعيم، وثمرة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجههم فتُر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٦].

* وقد اجتمعت في أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - صفات جعلتها من أهل الجنة، فنالت الشارة بها، فقد ورد أن النبي الكريم ﷺ طلق حفصة تطليقة ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام بذلك، وقال: «راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»^(١).

* وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «أزواجهي في الدنيا هن أزواجهي في الآخرة»^(٢). وهذا الحديث الشريف يشير إلى أن زوجات النبي الطاهرات معه في الجنة إن شاء الله.

* رضي الله عن أم المؤمنين حفصة التي أرادت الله ورسوله والدار الآخرة، فأعد لها الأجر العظيم، وأنزلها المقام الأمين، وكتبها في أصحاب اليمين.

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد (٢٤٥/٩)، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء (٢٢٨/٢)، والاستيعاب (٤/٢٦١)، والإصابة (٤/٢٦٥)، والحلية (٢/٥٠)، وطبقات ابن سعد (٨/٨٤)، وغيرها من المصادر.

(٢) انظر تفسير الماوردي (٣٠٥/٣).

المتنين في جناتٍ ونهرٍ * في ممهدٍ صلبيٍ عيدٍ مسيكيٍ ملبيٍ
[القمر: ٥٤ و ٥٥].

* * *